

المجتمع الأندلسي
في القرنين الرابع والخامس الهجريين
من خلال شهادة المؤرِّخ المعاصر (ابن حَيَّان القرطبي)

أنور محمود زناتي(*)

عاش ابن حَيَّان القرطبي في الفترة ما بين (٣٧٧ – ٤٦٩ هـ / ٩٨٧ – ١٠٧٦ م)، وهي فترة عامرة بالأحداث السياسية؛ حيث شهدت سيطرةَ الدولة العامرية، ثم عصرَ الفتنة، وسقوطَ الخلافة الأُمَوية، وقيامَ دول الطوائف، وتفاقمَ الخطر النصراني، وتعاظمَ دور اليهود، واندلاعَ النزاعات العرقية والطائفية(١)؛ وجميعها أحداث أثَّرت بلا شك في خبرته التاريخية وتركت آثاراً واضحة في ثنايا أعماله؛ حيث رصد بدقة مرحلة الفتن والاضطرابات المتتالية في الأندلس فصوَّر الوضع العام بأن الرعية «عدموا الراعي العَنُوف منذ حقَب، فنبذوا السلاح وكلِفوا بالترّقيح(٢)، ونافسوا في النَّشَب، وعطَّلوا الجهاد، وقعدوا فوق الآرائك مقعد الجبابرة»(٣)، وتولى الأمر «جماعة من الأغمار، كانوا عصابةً يحل بها الفَتَاء(٤)، ويذهب بها العُجْبُ»(٥).

وكان الوضع في الأندلس في تلك الفترة قد تغير تغيُّراً جذرياً؛ فبعدما كانت الخلافة تجمع بين السلطتين الزمنية والروحية، جاء الحاجب(٦) المنصور ابن أبي عامر (٣٧٠ – ٣٩٢هـ / ٩٨٠ – ١٠٠١ م)(٧)، وأبناؤه من بعده(٨) فانتزعوا منها السلطة الزمنية(٩)، وكانت وفاة عبد الملك (المُظَفَّر)(١٠) بن المنصور العامري فاتحة لفترة مضطربة من تاريخ الأندلس(١١) بدأت بعبد الرحمن (شنجول)(١٢) الذي «ساء تصرفه وأنفق الأموال في غير وجهها، ونُسِب إليه أباطيل القول والفعل، واستعان بالعسكر للتحرر من نفوذ العامة(١٣)، وانتهى الأمر بقتله(١٤)؛ ففتح على الأندلس باباً لم يُسَد إلا بانهيار الدولة كلها، وكان ذلك إيذاناً ببداية نهاية دولة الإسلام في الأندلس.

وكانت تلك الأزمة «جديرة بأن تشحذ العقول الذكية، وتنتج مفكرين مخلصين يصطبغ تفكيرهم بالمرارة ويحاولون البحث عن علة ذلك الداء الذي أوتي منه بلدهم، ومحاولة تكوين مشروع سياسي اقتصادي اجتماعي»(١٥)، ومن هنا ظهر هذا الجيل من أبناء قُرْطُبَة من أمثال ابن حَيَّان وابن حَزْم، وابن شُهَيْد(١٦) ممن حاول كلٌّ منهم في ميدان علمه تقصِّي الحقيقة والبحثَ عن علاج لمحنة بلدهم(١٧)؛ ولذا نلمح في كتابات ابن حَيَّان التاريخية

(*) كلية التربية – جامعة عين شمس.

(١) محمود إسماعيل: في دراسة التراث. رؤية للنشر والتوزيع، ط١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص ٢٣.
(٢) الترقيح: الكسب والمتاجرة.
(٣) ابن بَسَّام: الذخيرة: (تحقيق البدري): ٣/ ٥٥٤ – ٥٥٥.
(٤) الفتاء: حداثة السن.
(٥) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البدري): ١/ ٢٩.
(٦) الحاجب: في أول الأمر كان الحاجب في الدولة الأُمَوية بالأندلس يقوم بالوساطة بين الخليفة ووزرائه، ثم أخذت سلطة الحاجب في الاتساع حتى أصبح أرفع الوزراء شأناً، وصار يسمى بذي الوزارتين، وصار يشرف على الشؤون المدنية والعسكرية، راجع: حسن الباشا: الألقاب الإسلامية، الدار الفنية، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٢٥١.
(٧) هو: محمد بن أبي عامر الحاجب، طلب العلم والأدب في قُرْطُبَة، وسمع الحديث، تعلق بوكالة صبح أم الخليفة هشام المؤيد وزاد أمره في الترقي وتغلب على الأندلس، توفي سنة ٣٩٣ هـ، للمزيد راجع، الحُمَيْدي: جذوة المقتبس، ترجمة رقم ١٢١.
(٨) للمزيد راجع: ابن الأَبَّار: الحُلة السِّيَراء، ج١، تحقيق، حسين مؤنس، ج١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م، ص ٢٦٨ – ٢٧٧.
(٩) أحمد مختار العَبَّادي: دراسات في تاريخ المغرب والأندلس. مؤسسة شباب الجامعة، ص ٨٧.
(١٠) توفي سنة ٣٩٩هـ – ١٠٠٨م، انظر ابن عذاري: البيان المغرب: ٣/ ٣٧.
(١١) محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، ج٢، الهيئة المصرية للكتاب، ص ٦٢٢.
(١٢) يعرف في المراجع العربية باسم شجنول Sanchuelo سانشويلو، وهو تصغير للفظ سانشو؛ وهو اسم جده لأمه؛ أي: سانشو الصغير.
(١٣) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا الفكر الإسلامي، مكتبة مدبولي، ط ٣، ١٩٨٨م، ص ٥٣٦.
(١٤) قُتل سنة ٣٩٩ هـ – ١٠٠٨م.
(١٥) محمود إسماعيل: إشكالية المنهج، مرجع سابق، ص ١٦.
(١٦) راجع ترجمته في جذوة المقتبس: ص ١٣٣ – ١٣٦، ترجمة رقم ٢٢٢.
(١٧) في تناول تلك الرؤية استفاض الدكتور محمود مكي في مقدمة نشرته للمقتبس.



شـيوعَ روح النقد لديه؛ فنراه يعبِّر عـن رأيه بوضوح؛ ففي أيام دولة الخليفة «سـليمان المسـتعين»[١]، وبداية «الفتنة البربرية» يذكر أنها كانت: «شِداداً نَكِدات صعاباً مَشؤومات، كريهات المبدأ والفاتحة، قبيحة المُنْتَهَى والخاتمة...»[٢].

ويشير ابن حَيَّان في نصوصه إلى النهب الذي حدث بقُرْطُبَة، واجتياح التدمير بلا حساب أحياء قُرْطُبَة؛ وهو ما كان له أبلغ الأثر في تكوين فكره السياسـي، وانعكس ذلك في كتاباته التي اتسمت بالحدة والحزن؛ فقد كان يعتقد أن الأندلس ينبغي أن تحتل مكان الصدارة في العالم الإسلامي، وتُشيعُ هذه الروح في كل كتاباته[٣].

وقد زاد من اضطراب الأوضاع في الأندلس - لا سـيما قُرْطُبَة - اقتحام البربر[٤] لها[٥]، ونشر الدمار بها، ودفعت قُرْطُبَة ثمن مقاومتها أنهاراً مـن الدماء، وقُتِل كثير من أهلهـا[٦]، ودخلت البلاد بعدها في سلسـلة من الأحداث[٧] واضطربت الأوضاع، واستمرت النزاعات التي شارك فيها البربر والصقالبة[٨] وأهل قُرْطُبَة أنفسهم، وهو ما جعل ابن حَيَّان يكن للبربر كراهية شديدة تشـيع على ظاهر صفحات تاريخه؛ فهو يندد بقسـوتهم وحقدهم الدفين على الدولة الأندلسية، ورغبتهم في نقض بناء الحضارة الأندلسية منذ أول لحظة يتهيأ لهم فيها ذلك[٩] وقد تتبع ابن حَيَّان تلك الأحداث في تفصيل دقيق.

وانتهـت هذه المرحلة في سـنة ٤١٧ هـ / ١٠٢٦ م، حين أجمع أهل قُرْطُبَة برئاسـة الوزير أبي الحَزْم بن جَهْوَر على رد الأمر إلى بني أُمَيَّة[١٠]، واتفقوا على مبايعة هشـام بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن الناصر[١١]، وتلقب بالمستظهر[١٢]. وبعد ذلك خرج عليه، محمد بن عبد الملك (المُسْتَكْفي) سنة ٤١٤ هـ / ١٠٢٣ م، ويذكر ابن حَيَّان عن الخليفة المستكفي قوله: «ولم يكن هذا المستكفي من هذا الأمر في وِرْدٍ ولا صَدَر، وإنما أرسله الله - تعالى - على أهل قُرْطُبَة محنة وبلية»[١٣]، وهذا إن دل على شـيء فإنما يدل على متابعة ابن

(١) للمزيد عن شخصية سليمان المستعين، راجع: ابن بَسَّام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. ج١، تحقيق سالم مصطفى البدري، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨م، ص ٢٢، نقلاً عن ابن حَيَّان، وابن الأَبَّار: الحُلة السِّيَراء: ٢/ ٥.

(٢) ابن بَسَّام: الذخيرة، تحقيق البدري: ١/ ٢١.

(٣) محمود مكي: مقدمة نشرته لجزء من المقتبس، الشطر الثاني، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٣م، ص ١١١ - ١١٢.

(٤) يقصد بالبربر الجماعات التي أقامت منذ أحقاب بعيدة في الشمال الأفريقي من برقة شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، راجع: الموسوعة الإسلامية العامة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٧٥.

(٥) في ٢٦ شوال ٤٠٣هـ / ٩ مايو ١٠١٣م.

(٦) فقد قُتِل سعيد بن منذر، خطيب المسجد الجامع منذ أيام الحكم المستنصر (٣٥٠ - ٣٦٦هـ / ٩٦١ - ٩٧٦م)، وقُتِل ابن الفَرَضِي صاحب تاريخ علماء الأندلس، راجع الطاهر أحمد مكي: دراسات عن ابن حزم، ط ٤، دار المعارف ١٩٩٣م، ص ١٠٣. و: Joseph Mccabe: The Splendour of Moorish Spain London. 1953. P. 121.

(٧) حيث توالى على الحُكم خلال تسع سنوات ثلاثة من بني حمود، هم: الناصر والقاسم والمعتلي، وثلاثة من بني أمية، هم المرتضى والمستظهر والمُسْتَكْفي.

(٨) كان الجغرافيون العرب يطلقون هذه التسمية على سكان البلاد المتاخمة لبحر الخزر بين القسطنطنية وبلاد البلغار ثم اكتسب اللفظ مدلولاً خاصاً في إسبانيا الإسلامية فصار يطلق أولاً على أسرى الحرب الذين كانوا يقعون في أيدي الجرمان ويباعون للمسلمين في شبه الجزيرة. للمزيد راجع: ياقوت: معجم البلدان، مادة (صقالبة)، المقَّري: نفح الطيب: ١/ ٨٨ - ٩٢ و ٢/ ٥٧، وتكملة الصلة لابن الأَبَّار طبعة كوديرا رقم ٨٩.

(٩) محمود مكي: مقدمة، الشطر الثاني، ص ١١٤.

(١٠) عبادة كحيلة: القطوف الدواني في التاريخ الإسباني، القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٠٩.

(١١) في ٢٥ ربيع الآخر سنة ٤١٨ هـ.

(١٢) الحُمَيدي: جذوة المقتبس، ص ٢٧، والضَّبي: بغية، ص ٣٤، والمراكشي: المعجب، ص ٥٧.

(١٣) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البدري): ١/ ٢٧١.

حَيَّان للأحداث ورصدها بصورة شبه يومية وبطريقة ناقدة.

ونتيجة لتلك الأحداث تقلصت بالضرورة قوة السُــلطة في الداخــل[١]، وهو ما انعكس أيضاً على فكر ابــن حَيَّان؛ فحاول مثــل غيره مــن المؤرخين النابهين من أمثال ابــن حَزْم أن يعمل على تحقيق وحدة الأندلس وتقوية سلطة الخلافة من جديد[٢]؛ فنــراه يعتدُّ «بالجماعة» أو وحدة الأندلس؛ ولذا كان يســتخدم كلمة الجماعة مراراً وتكراراً فيقول: «سلطان الجماعة» و «إمام الجماعة» و «أمير الجماعة»[٣].

وبينما كان البناء السياســي للأندلس يتصدع شــيئاً فشيئاً أثناء فترة الصراع على الخلافة بين من ادَّعاها من أفراد البيت الأُمَــوي ومن أعقبوهم من بني حَمُّود[٤]، انهار البناء السياســي جملة، وضاعت الوحدة، وتفرق أمر الجماعة[٥]، وفي تلك الأثناء اجتمع شيوخ قُرْطُبَة والوزراء برئاسة أبي الحزم بن جَهْوَر واتفقوا على خلع المُعْتَدِّ بالله (آخر خلفاء بني أمية) وإبطال رسم الخلافة جملة[٦]، ونودي في الأســواق والأرباض؛ ألَّا يبــقَ بقُرْطُبَة أحد مــن بني أُمَيَّة، وألا يكنفهم أحد من أهــل المدينة، وانتهى بذلك أمر بنــي أُمَيَّة في الأندلس وزالت خلافتهــم وانقطعت الدعوة لهم[٧]، وأثَّرت تلك الواقعة تأثيراً بالغاً في فكر ابن حَيَّان، وجعلته يتابع مصير دويلات الطوائف، ويرصد العديد من الوقائع، وركز على انفراط وحدة الأندلس وتفرُّق ملكها إلى دويلات طائفية[٨]، واقتســامهم ألقاب الخلافة؛ فوصفهم ابن حَيَّان بأنهم: «أُمراء الفرقة الهمل[٩]الذين هم ما بين فشل وَوَكَل»[١٠].

أمــا في قُرْطُبَة فقد اجتمع كبــار أهلها بعد إلغاء الخلافة، وأســندوا الأمر إلى ابن جَهْوَر، وكان مشــهوراً عندهم بجدارته وكفاءته لتقلد هذا المنصب[١١]، وابتكر لأهل قُرْطُبَة نظاماً جديداً للحكم قائماً على الشورى، ورأى ابن حَيَّان أنه لم يستبد بالسلطة كما استبد غيره من ملوك الطوائف، وإنما كون مجلساً للحكم من شــيوخ أهل قُرْطُبَة وانتخب أميناً لهذا المجلس، وكان لا يصرِّف أمراً إلا بعد الرجوع إلى جماعة الشيوخ هؤلاء[١٢]، وكان من جراء ذلك أن اختار ابن حَيَّان المقام في قُرْطُبَة في ظل الجَهاوِرَة؛ لأنهم في نظره خير بيئة يستطيع فيها أن يسجل أحداث عصره، وفيها اســتطاع أن يعبِّر عن ســلبيات المجتمع الأندلسي؛ خاصة بعد تمزق الأندلس على هــذا النحو، وقد انتقد ملوك الطوائف في عصره؛ خاصة في تربُّص بعضهم لبعض، واستعانتهم بالنصارى لتنفيذ مخططاتهم.

وعلى الصعيد الاقتصادي وبعد انهيار الخلافة ثم سقوطها حدثت الانتكاسة وعم الكســاد الاقتصادي[١٣] وتدهور العمران، وحفــل العصر بالأزمات إلى حــدِّ المجاعة وأفل نجــم قُرْطُبَة عمرانياً وبشــرياً، وصور ابن حَيَّان الوضع قائلاً: « ... وطمست أعلام قصر الزهراء[١٤]... فطوي بخرابها بســاط الدنيا وتغير حســنها؛ إذ كانت جنة الأرض، فعدا عليهــا قبل تمام المائة من كان أضعف قوة من فارة المسك، وأوهن بنية من بعوضة النمروذ، والله يسلط جنوده على من يشاء، له العزة والجبروت»[١٥].

وتحولــت المــدن التجارية المزدهــرة إلى قــلاع وحصون عســكرية[١٦]، وهو الأمر الذي لقي تنديد ابن حَيَّان، ويشيع ذلك فــي صفحات كتابه «المتين» ومثال ذلك ما أشــار إليه في فطنة بالغة عن ســوء الأحوال الاقتصادية نتيجــة الوضع المتردي في بمدينة بَطَلْيَوْس[١٧] نتيجة النزاع بين المعتضِد بن عَبَّاد والأَفْطَس، فقــال: «بقيــت بَطَلْيَوْس مــدةً خالية الدكاكين والأســواق من

(١) محمود إسماعيل: سوسيولوجيا، مرجع سابق، ص ٥٣٤.

(٢) محمود إسماعيل: إشكالية المنهج، ص ١٦.

(٣) للمزيد راجع: المقتبس (أنطونيا)، ص ٦٧ – ١٣٣ – ١٣٤.

(٤) بنو حمُّود: من ملوك الطوائف في الأندلس، وقد سُمِّيت على اسم مؤسسها حمُّود، من نسل إدريس بن عبد الله؛ أي أنهم من الأدارسة، راجع، ابن بسام، تحقيق سالم البدري: ١/ ٦٠، نقلاً عن ابن حيان، وابن حزم: جمهرة أنساب العرب، دار المعارف، ص ٤٣ – ٤٤.

(٥) حُسَين مؤنس: شيوخ العصر في الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م، ص ٨٠.

(٦) راجع، الحُمَيدي: الجذوة، ص٢٨، والضَّبي: بغية المتلمس، ص٣٤، وابن عذاري: البيان المغرب: ٣/ ١٤٦، وابن الخطيب: أعمال الأعلام، ص ١٣٨.

(٧) سالم: تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، ص ٣٦٣.

(٨) ونوجز المسألة في ما يلي: قُرْطُبَة: يحكمها بنو جَهْوَر (٤٢٣ هـ – ٤٦٠هـ)، وإشبيليَّة: بنو عباد (٤١٤ – ٤٨٤هـ)، غرْناطة: بنو زيري (٤٠٣ – ٤٨٣هـ)، وطُلَيطلَة: بنو ذي النون (٤٢٧ – ٤٨٧هـ)، وبَلَنْسِية: العامريون (٤١٢ – ٤٧٨هـ)، وسَرَقُسْطة: بنو هود (٤١٠ – ٥٢٦هـ).

(٩) الهمل: المتكاسلون المتوانون.

(١٠) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البدري): ٣/ ١١٧.

(١١) دوزي: ملوك الطوائف. ترجمة كامل كيلاني، ط١، مكتبة عيسى الحلبي ١٩٣٣م، ص ١٠، ١١.

(١٢) راجع، ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البدري):١/ ٣٧٤ ؛ حيث يقول: «فعجب ذوو التحصيل للذي أراه الله في صلاح الناس من القوة، ولَمَّا تعتدل حال، أو يهلك عدو، أو تقوَ جباية، وأمر الله – تعالى – بين الكاف والنون».

(١٣) Miguel Asin Palacios: «Un códice inexplorado del cordobés Ibn Hazm. Al–Andalus، 1934، 1، p، vol. 2 (1934) p. 40.

(١٤) الزهراء: تقع شمال غرب مدينة قُرْطُبَة، وعلى بعد حوالي ستة أميال، ابن غالب: فرحة الأنفس ص٣١ – ٣٤، الحِمْيَري: الروض المعطار، ص ٢٨ – ٣٢ .

(١٥) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البدري):١/ ٢٧٢.

(١٦) أحمد بدر: تاريخ الأندلس في القرن الرابع الهجري، دمشق: [د.ن]، ١٩٧٤م، ص ٢٤٢

(١٧) بَطَلْيَوْس: بناها الأمير عبد الله على يد عبد الرحمن بن مروان الجليقي وهي تقع غربي قُرْطُبَة، ياقوت الحموي: معجم البلدان: ١/ ٤٤٧.

اســـتئصال القتل لأهلها في وقعة ابن عَبَّــاد هذه بفتيان أغمارٍ إلا الشيوخ والكهول الذين أصيبوا يومئذٍ. فاستدللت بذلك على فشـــو المصيبة»[١]؛ فتوقع برؤية ثاقبة عما ســيحل بعد ذلك من كوارث اقتصادية.

ولجــأ الملوك من أجل إرضاء نزواتهـــم وتحقيق لذاتهم إلى إثقال كاهــل رعاياهم بالضرائب[٢]؛ فانعكــس ذلك الوضع في كتابات ابن حَيَّان؛ فوصف ذلك الوضع المتردي في مرارة واضحة بقوله: «فما أقول في أرض فسد ملحها الذي هو المصلح لجميع أغذيتها؟ هل هي إلا مشـــفية[٣] على بوارها واستئصالها؟ ولقد طمى العجب من أفعال هؤلاء الأمراء:

أمورٌ لو تدبَّرها حكيم إذن لنهى وهبب ما استطاعا»[٤]

وعلى الصعيد الاجتماعي شـــهد المجتمع الأندلسي في ظل الخلافة والحِجابة مرحلة المزج والانصهار بين العرقيات المتنوعة ليحـــدث نوع من التجانس لم تشــــهده الأندلس من قبل؛ إلا أن الســـخائم العرقية والإقليمية عادت مرة أخرى لتؤثر سلبياً في هذا التجانس، ولتمزق وحدة الأندلس من جديد[٥]بظهور النزعة العنصريـــة؛ ولذا لم يغب عن ابن حَيَّـــان أيضاً أن يعبر عن تلك النزعـــة في الأندلس في تلك الفترة؛ وذلك من خلال حديثه عن اجتماع خازنَي بيت المال في عهد الأمير محمد، وهما «عبد الله بن عثمان بن بســـيل، ومحمد بن وليد بن غانم «واستدعى الأمر أن يكتب ابن غانم كتاباً قدم نفســـه فيه، فما كان من ابن بسيل إلا أن قال له: «والله لا أطبع كتاباً تتقدمني أنت فيه، وأنا شامي وأنت بلدي»[٦].

ويشـــير أيضاً إلى الفتنة بين اليمنية والمضرية، فقال: «وكان ابتداء فتنة أهل الجزيرة وانبعاثها بالمعصية بين اليمانية والمضرية أن أطلق بعضهم على بعض الغارات واستحلوا الحرمات وتخلقوا بأخـــلاق الجاهلية، واتخذوا الحصون والمعاقـــل المنيعة فارتقوا اليها وأذلوا البسائط»[٧].

وقد كانت هناك طبقة الأُمراء والحكام وذوو الثراء وأصحاب الوظائف الكبرى، وكانوا يمتلكون ثروات طائلة تمثلت في الضياع الواســـعة، والقصور الخاصة، وتفننوا فـــي صنوف من البذخ[٨]، والناظـــر إلى روايات ابن حَيَّان يجـــد أن الغالب عليها تصويره مثالب الطبقة الحاكمة، ولم يغب عنه تصرفات الحكام وشغفهم بالبنـــاء إلى حد الإســـراف والبذخ ويتضح هـــذا فيما نقله عن معاوية بن هشـــام عند ذكره لقيام الأمير محمد بتحسين قصر الخلافة فيقول: إنه بلغ من تحسينه إياه مبلغاً «تَوَفَّتْ به الكمال، واكتسبت الجمال، فشـــفيت به أدواء النفوس، وضرب بحسنها المثل»[٩].

كما رصد ابن حَيَّان انحراف الحُجاب والوزراء، واستطاع أن يلقي الضوء حول طبيعة حياة الأمراء من خلال المعايشـــة، وقد أشـــار إلى ما أصاب أهل الأندلس من نفاق وقلة وفاء وميل مع من يبقى في المنصب، كما لم يغب عنه أن يصور بعض تجاوزات الولاة وظلمهم، كما صور دور الجواري في بلاط حكام الأندلس، وانتقد ما كُنَّ يقمن به من دسائس. وهذه الرؤية النقدية ما كانت لتحدث لولا ظروف عصره التي دفعته إلى ذكر ما وصل إليه حال الأندلس من انقسام وتفكك[١٠].

كما رصد سوء الأحوال الاقتصادية المترتبة على المنازعات والحروب خاصة بين ملـــوك الطوائف؛ فنراه يصف ما حدث بمدينة بَطَلْيَوْس نتيجة النزاع بين المعتضِد العَبَّادي والأَفْطَس بأنها «مصيبـــة»؛ حيث «خلت الدكاكين والأســـواق». ويصف القســـوة التي اســـتُخدمَت في جمع الضرائب غير الشرعية بمدينة شـــاطبة بكل أنواع العنف حتى تســـاقطت الرعية ولم تصمد في وجه هذا الظلم». ومن هنا يتضح مدى اهتمام ابن حَيَّان برصد الجوانب الاقتصادية دون الاقتصار على الجانب السياسي فقط.

مما ســـبق يتضح لنا أن كتب ابن حَيَّـــان تناولت بتفصيل دقيـــق تاريخ المســـلمين في الأندلـــس سياســـياً واقتصادياً واجتماعيـــاً وثقافياً؛ وهو ما أهَّله لأن يكون حامل لواء التاريخ في الأندلس.

---

(١) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق سالم البدري): ١/ ٢٣٩، نقلاً عن ابن حَيَّان.
(٢) الكُوَرة: الإقليم أو الصقع أو البقعة يجتمع فيها قرى ومحال.
(٣)مشفية : أي مشرفة.
(٤) ابن بَسَّام: الذخيرة (تحقيق البدري): ٣/ ١١٧.
(٥) محمود إسماعيل: الفكر التاريخي في الغرب الإسلامي،ط١، منشورات الزمن، المغرب ٢٠٠٨م، ص ٧٠.
(٦) ابن حَيَّان : المقتبس (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ١٣٧.
(٧) ابن حَيَّان : المقتبس (تحقيق أنطونيا)، ص ٥٢.

(٨) عادل يحى عبد المنعم: النقد الاجتماعي عند المؤرخين والكتاب الأندلسيين، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الزقازيق، ص ٧٩.
(٩) المقتبس (تحقيق مكي، الشطر الثاني)، ص ٢٢٧.
(١٠) عادل عبد المنعم: النقد الاجتماعي، مرجع سابق، ص ٩٥.